عبد الله ابن مسعود
العالم بالقرآن

د. سناء عبد الرحيم عبد الله حلواني (*)

المقدمة :

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ، ثم الصلاة والسلام الأتمان الأكملان على رسول الهدى ومعلم الدجى محمد بن عبد الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين عليه وعلى آله وصحبه وأهل بيته الطاهرين أفضل الصلاة وأتم التسليم .

أما بعد : فإن شرف العلم يتعين بشرف المعلوم إذ أن علم التفسير هو أجلّ العلوم وأشرفها ، لأنه يبحث في معاني ومراد الله من كلامه ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)

اسمه وكنيته

عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

الإمام الحبر ، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي المهاجري البدري ، حليف بني زهرة ، وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي عبد الرحمن قبل أن يولد له . (١)

كان يعرف بأمّه ، فيقال له : ابن أمّ عبد ، وأمه هي أم عبد بنت عبد وُدّ بن سُوَيّ من بني زهرة .

(*) الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥/١٩٨٣ – ١٩٨٤) .

كان رضي الله عنه رجلاً نحيفاً ، قصيراً ، شديد الأدمة ،عظيم البطن ، أحمش الساقين ،وكان لا يغير شيبه ، وكان رضي الله عنه لطيفاً فطناً ، يعدّ من أذكياء العلماء

كان من أجود الناس ، عن نويفع مولى ابن مسعود قال : كان عبد الله من أجود الناس ثوباً أبيض ، وأطيب الناس ريحاً . (١)

عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : كان ابن مسعود على شجرة يجتني لهم منها ، فهبت الريح وكشفت عن ساقيه فضحكوا ، فقال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد) . (٢)

مات ابن مسعود بالمدينة المنورة سنة اثنتين وثلاثين حين قتل عثمان ودفن بالبقيع ، وهو ابن بضع وستين سنة ، وقد صلى عليه الزبير ابن العوام وقيل صلى عليه عمار بن ياسر.

إسلامه

أسلم عبد الله بن مسعود قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم .

كان ابن مسعود رضي الله عنه من أوائل الذين أسلموا فقد كان سادس من أسلم من الصحابة ، قال عن نفسه : (لقد رأيتني سادس ستة وما على ظهر الأرض مسلم غيرنا) (٣)

ملازمته للنبي

وعن أبي موسى الأشعري ، قال : قدمت أنا وأخي من اليمن ، فكنا حيناً وما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من كثرة دخولهم ولزومهم له . (٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤٦٣/١) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨٥) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : صحيح .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٦٨) وصححه ووافقه الذهبي .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٧٦٣) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٧٦) .

وعن عقبة بن عمرو قال : ما أرى رجلاً أعلم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من عبد الله بن مسعود ، فقال أبو موسى : إن تقل ذلك فإنه كان يسمع حين لا نسمع ويدخل حين لا ندخل . [1]

ولا غرو فقد كان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم و وساده – يعني فراشه – وسواكه ونعليه .– وكان ذلك في السفر .

وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يُلبس رسول الله صلى الله عليه وسلم نعليه ، ثم يمشي أمامه بالعصا ، حتى إذا أتى مجلسه نزع نعليه ، فأدخلهما في ذراعه، وأعطاه العصا ، وكان يدخل الحجرة أمامه بالعصا . [2]

١- أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٦٨) وصححه ووافقه الذهبي.

٢- أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٧٦٣) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٧٦).

٣- أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨١).

٤- طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٨).

وعن علقمة قال : قدمت الشام فصليت ركعتين ثم قلت : اللهم يسر لي جليساً صالحاً ، فلقيت قوماً فجلست فإذا بواحد جاء حتى جلس إلى جنبي ، فقلت : من ذا ؟ قال : أبو الدرداء ، فقلت : إني دعوت الله أن ييسر لي جليساً صالحاً ، فيسر لي ، فقال : ممن أنت ؟ قلت : من أهل الكوفة، قال : أوليس عندكم ابن أم عبد صاحب النعلين والوسادة والمطهرة ، وفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ، وفيكم صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يعلمه غيره . [3]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨١) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٨/٣) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

هديه وسمته

كان رضي الله عنه أشبه الناس هدياً وسمتاً ودلاً بمحمد صلى الله عليه وسلم من حين يخرج إلى حين يرجع ، وكان من أقرب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة عند الله يوم القيامة .

قال شقيق : سمعت حذيفة يقول : إن أشبه الناس هدياً وسمتاً ودلاً بمحمد صلى الله عليه وسلم من حين يخرج إلى حين يرجع فما أدري ما في بيته ، ولقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن ابن أم عبد من أقربهم وسيلة عند الله يوم القيامة . (١)

شهد الغزوات

شهد ابن مسعود رضي الله عنه بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد بيعة الرضوان ، كما أنه هاجر الهجرتين . فكان ممن هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى قبل خروج جعفر بن أبي طالب . (٢)

ثم هاجر إلى المدينة.وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الزبير ابن العوام .

من النجباء العالمين

قال رضي الله عنه : لما نزلت هذه الآية : (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قيل لي أنت منهم) (٣)

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٧٦) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) المستدرك للحاكم (٥٣٦٩/٥) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٧٥) .

عن سعد بن أبي وقاص في هذه الآية (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) نزلت في خمس من قريش ، أنا وابن مسعود فيهم ، فقالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : لو طردت هؤلاء عنك جالسناك ، تدني هؤلاء دوننا ، فنزلت : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه) إلى قوله (بالشاكرين). [1]

وعن علي ﷺ قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر رضي الله عنه ومن شاء الله من أصحابه فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من هذا ؟) فقيل : عبد الله بن مسعود ، فقال : (إن عبد الله يقرأ القرآن غضاً كما أنزل) فأثنى عبد الله على ربه وحمده فأحسن في حمده على ربه ثم سأله فأجمل المسألة ، وسأله كأحسن مسألة سألها عبد ربه ، ثم قال : اللهم إني أسألك إيماناً لا يرتد ونعيماً لا ينفذ ومرافقة محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى عليين في جنانك جنان الخلد ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (سل تعط سل تعط) مرتين ، فانطلقت لأبشره ، فوجدت أبا بكر قد سبقني وكان سباقاً بالخير . [2]

وقال عليه الصلاة والسلام : (رضيت لأمتي ما رضي لها ابن أم عبد) [3] .

وعن زيد بن وهب ، قال : كنت جالساً في القوم عند عمر ،إذ جاء رجل نحيف قليل ، فجعل عمر ينظر إليه ويتهلل وجهه ، ثم قال : كنيفٌ ملئ علماً ، كنيفٌ ملئ علماً، كنيفٌ ملئ علماً ، فإذا هو ابن مسعود . [4]

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٩٣) وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٥٣٨٦) .

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨٧) وصححه وقال الذهبي مرسل على شرط البخاري ومسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (١٥٦/٣) .

كان أبو موسى الأشعري يقول لمن يسأله : لا تسألوني عن شيء مادام هذا الحبر بين أظهركم ، يعني : ابن مسعود

قال الذهبي : كان معدوداً في اذكياء العلماء . (١)

ابن مسعود والحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان ابن مسعود رضي الله عنه شديد الورع والخشيه في التحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متأثراً بعمر بن الخطاب الذي كان يأمر بالإقلال من الحديث عن رسول الله خشية من الوقوع في الخطأ في النقل كما ورد عنه رضي الله عنه قال : أقلوا الرواية عن رسول الله وأنا شريككم . وكان ابن مسعود يدع قوله لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . وكان رضي الله عنه يقول لأصحابه : إن استطعت أن تكون أنت المحدَّث فافعل .

وعن عمرو ابن ميمون قال : صحبت عبد الله بن مسعود ثمانية عشر شهراً ، فما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حديثاً واحداً ، فرأيته يعرق، ثم غشيه بهر ثم قال نحو هذا أو شبهه . (٢)

وكان رضي الله عنه ينهى عن كثرة التحديث ، وكان يحدث في الشهر بالحديث والحديثين . (٣)

وعن عمرو بن ميمون قال : كان عبد الله تأتي عليه السنة لا يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحدث ذات يوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث فعلته كآبة وجعل العرق يتحادر على جبهته ويقول : نحو هذا أو قريباً من هذا . (٤)

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٦٢/١) .

(٢) المعجم الكبير للطبراني (١٣٠/٩) .

(٣) سنن الدارمي (٨٤/١) .

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم (٥٣٧٤) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانمائة حديث وثمانية وأربعين حديثاً ، منها أربعة وستون حديثاً في الصحيحين ، وانفرد له البخاري بإخراج واحد وعشرين حديثاً ، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثاً . [١]

روى علماً كثيراً فقد حدّث عنه من الصحابة : أبو موسى ،وأبو هريرة ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعمران بن حصين ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وغيرهم

أما من التابعين فقد حدّث عنه : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وقيس بن أبي حازم ، وزرّ بن حبيش ، والربيع ، وابن خثيم ، وطارق بن شهاب ، وزيد بن وهب ، وأبو الأحوص عوف بن مالك ، وأبو عمرو الشيباني ، وغيرهم .

ابن مسعود والقرآن

وكان أول من جهر بالقرآن من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أيضاً أول من قرأ آية عن ظهر قلب .

كان من دأب الصحابة التدرج في تعلم القرآن : حفظ القرآن ومعرفة معانيه والعمل بما فيه

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (كان الرجل منا إذا تعلّم عَشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن ، والعمل بهن) [٢]

وعن أبي عبد الرحمن قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا : أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا العلم والعمل جميعاً [٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٦٢/١) .

(٢) (تفسير الطبرى ٦٠/١) .

(٣) (تفسير الطبري ٦٠/١) .

الذين كانوا يقرئوننا القرآن : أمثال عبد الله بن مسعود ، وعلي بن أبي طالب ، وأبيّ بن كعب وغيرهم ، وذلك لأن الهدف الأكبر والأعظم من القرآن هو العلم والعمل بما فيه .

برع ابن مسعود في علم القراءة وقد تلقى من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة من القرآن .

فيقول رضي الله عنه : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اقرأ عليّ القرآن . قلت : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : إني أشتهي أن أسمعه من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فغمزني برجله ، فإذا عيناه تذرفان) [1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من سره أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد) [2]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (استقرؤا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ،وسالم – مولى أبي حذيفة – وأُبيّ بن كعب – ومعاذ بن جبل) [3]

وقال صلى الله عليه وسلم : (خذوا القرآن من أربعة : من ابن أم عبد – فبدأ به – ، ومعاذ بن جبل ، وأبيّ بن كعب ، وسالم مولى أبي حذيفة) [4]

قال النووي في المنهاج : قال العلماء : سببه أن هؤلاء أكثر ضبطاً لألفاظه ، وأتقن لأدائه ، وإن كان غيرهم أفقه في معانيه منهم ، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأخذه

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن ، باب من أحب أن يستمع القرآن من غيره (٥٠٥٠) ومسلم في كتاب المسافرين ، باب فضل استماع القرآن (٨٠٠) .

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٥٣٩٠) .

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٨٨) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عبد الله بن مسعود (٣٧٦٠ ، ٣٧٥٩) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٨٤) .

منه صلى الله عليه وسلم مشافهة ، وغيرهم اقتصروا على أخذ بعضهم من بعض ، أو لأن هؤلاء تفرغوا لأن يؤخذ منهم ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أراد الإعلام بما يكون بعد وفاته صلى الله عليه وسلم من تقدم هؤلاء الأربعة ، وتمكنهم ، وأنهم أقعد من غيرهم في ذلك ، فليؤخذ عنهم .

وقال علي بن أبي طالب : عَلِم القرآن والسنة ثم انتهى [1]

قال ابن مسعود : (والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه) [2]

ابن مسعود وكتابة المصحف

لما أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بتشقيق المصاحف ، قام عبد الله بن مسعود خطيباً فقال : لقد علم أصحاب محمد ﷺ أني أعلمهم لكتاب الله . ثم قال : وما أنا بخيرهم. وكره ابن مسعود لزيد بن ثابت نسخ المصاحف ، وقال : يا معشر المسلمين ! أُعزل عن نسخ المصاحف ، ويولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب أبيه كافر ، - يريد زيد بن ثابت - ولذلك قال : يا أهل الكوفة ! اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها ، فإن الله قال : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) فالقوا الله بالمصاحف . [3]

قال الزهري : فبلغني أن ذلك كره من مقالة ابن مسعود ، كرهه رجال من الصحابة.

و قال ﷺ : كيف تأمروننى أقرأ على قراءة زيد بن ثابت بعدما قرأت من فيّ رسول الله بضعاً وسبعين سورة ، وإن زيداً مع الغلمان له ذؤابتان .

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٥٣٩٢) .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٥٠٠٢) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٨٣) .

(٣) أخرجه الترمذي ، كتاب التفسير ، باب ومن سورة التوبة (٢٨٥/٥) ٣١٠٤ ، وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .

و قال رضي الله عنه : (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) ، ثم قال : على قراءة من تأمروننى أن أقرأ ؟ فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعاً وسبعين سورة ، ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أعلمهم بكتاب الله ، ولو أعلم أن أحداً أعلم مني لرحلت إليه .

قال شقيق : فجلست في حِلَق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فما سمعت أحداً يردُّ ذلك عليه ، ولا يعيبه . (١)

قال النووي في معنى الحديث : أن ابن مسعود كان مصحفه يخالف مصحف الجمهور ، وكانت مصاحف أصحابه كمصحفه ، فأنكر عليه الناس ، وأمروه بترك مصحفه ،وبموافقة مصحف الجمهور ، وطلبوا مصحفه أن يحرقوه كما فعلوا بغيره ، فامتنع ، وقال لأصحابه : غلوا مصاحفكم ، أي اكتموها ، ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ، فإذا غللتموها جئتم بها يوم القيامة ، وكفى لكم بذلك شرفاً . ثم قال على سبيل الإنكار : ومن هو الذي تأمروننى أن آخذ بقراءته ، وأترك مصحفي الذي أخذته من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال القرطبي في المفهم : لما رأى عثمان حرق المصاحف ما عدا المصحف الذي بعث نسخته إلى الآفاق ، ووافقه على ذلك الصحابة لما رأوا من أن بقاءها يدخل اللبس والاختلاف في القرآن ، ذكر ابن مسعود الغلول وتلا الآية ن ومعنى قوله غلوا مصاحفكم : أي التمدها ولا تسلموها والتزموها إلى أن تلقوا الله بها ، كما يفعل من غل شيئاً فإنه يأتي به يوم القيامة يحمله ، وكان هذا منه رأياً انفرد به عن الصحابة ، فإنه كتم مصحفه ولم يقدر عثمان ولا غيره على أن يظهره ، وانتشرت المصاحف التي كتب بها عثمان إلى الآفاق ، ووافقه عليها الصحابة ، وقرأ المسلمون عليها ، وترك مصحف عبد الله وخفي .....

---

(١) أخرجه البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٥٠٠٠) ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رضي الله عنهما (٦٢٨٢) .

وقوله : على قراءة من تأمرونني أقرأ : قاله إنكاراً على من أمره بترك قراءته ورجوعه إلى قراءة زيد ، مع أنه سابق له إلى حفظ القرآن وإلى أخذه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصعب عليه أن يترك قراءة قرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقرأ بقراءة زيد أوغيره ، وتمسك بمصحفه وقراءته ، وخفي عليه الوجه الذي ظهر لجميع الصحابة من المصلحة التي هي من أعظم ما حفظ الله به القرآن عن الاختلاف المخل به ، والتغيير بالزيادة والنقص ، وكان من أعظم الأمور على عبد الله أن الصحابة لما عزموا على كتب المصحف بلغة قريش عينوا لذلك أربعة ، لم يكن منهم ابن مسعود ، وكتبوه على لغة قريش ، ولم يعرجوا على ابن مسعود لأنه كان هذلياً ، وكانت قراءته على لغتهم ، وبينها وبين لغة قريش تباين عظيم ، فلذلك لم يدخلوه معهم .

قال ابن العربي في أحكام القرآن بعد إيراد هذا الحديث : هذا مما لا يلتفت إليه بشيء ، إنما المعول عليه ما في المصحف فلا تجوز مخالفته لأحد . ثم بعد ذلك يقع النظر فيما يوافق خطه مما لم يثبت ضبطه ، فإن القرآن لا يثبت بنقل الواحد ، وإن كان عدلاً ، وإنما يثبت بالتواتر الذي يقع به العلم ، وينقطع معه العذر ، وتقوم به الحجة على الخلق .

وقال الذهبي : إنما شقَّ على ابن مسعود ، لكون عثمان ما قدّمه على كتابة المصحف ، وقدّم في ذلك من يصلح أن يكون ولده ، وإنما عدل عنه عثمان لغيبته عنه بالكوفة ، ولأنّ زيداً كان يكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو إمام في الرسم ، وأما ابن مسعود فإمام في الأداء ، ثم إن زيداً هو الذي ندبه الصديق لكتابة المصحف وجمع القرآن ، فهلاّ عتب على أبي بكر ؟ وقد ورد أن ابن مسعود رضي وتابع عثمان ولله الحمد .

وفي مصحف ابن مسعود أشياء أظنها نُسِخت ، وأما زيد فكان أحدث القوم بالعرضة الأخيرة التي عرضها النبي صلى الله عليه وسلم – عام توفي – على جبريل. [1]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤٨٨/١) .

ويقول أبو بكر بن الأنباري : ولم يكن الاختيار لزيد من جهة أبي بكر وعمر وعثمان على عبد الله بن مسعود في جمع القرآن ، وعبد الله أفضل من زيد ، وأقدم في الإسلام ، وأكثر سوابق ، وأعظم فضائل إلا لأن زيداً كان أحفظ للقرآن من عبد الله إذ وعاه كله ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي ، والذي حفظ منه عبد الله في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم نيف وسبعون سورة ، ثم تعلم الباقي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، والذي ختم القرآن وحفظه ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي أولى بجمع المصحف ، وأحق بالإيثار والاختيار . (١)

وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة : أبو الدرداء ، ومعاذ ، وزيد بن ثابت ، وأبو زيد . (٢)

ابن مسعود والتفسير

كتب عمر بن الخطاب لأهل الكوفة أني قد بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً ، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فاسمعوا ، وقد جعلت ابن مسعود على بيت مالكم ، فاسمعوا ، وتعلموا منهما ، واقتدوا بهما ، وقد آثرتكم بعبد الله على نفسي . (٣)

وعن مسروق قال : كان عبد الله وحذيفة وأبو موسى الأشعري في منزل أبي موسى ، فقال حذيفة : أما أنت يا عبد الله بن مسعود ، فبعثت إلى أهل الكوفة معلماً ، فأخذوا من أدبك ، ولغتك ، ومن قراءتك . (٤)

وكان يقول القرآن كلام الله ، فمن قال فليعلم ما يقول على الله . (٥)

---

(١) الوجيز في فضائل الكتاب العزيز (١٦٩) .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ (٥٠٠٤).

(٣) أسد الغابة (٣٨٨/٣) .

(٤) المصاحف لابن أبي داود (٢١) .

(٥) شعب الإيمان للبيهقي (٤٢٤/٢) ٢٢٨٠ .

وكان ينهى عن القصص والتكلف ، عن مسروق قال : كنا عند عبد الله جلوساً ، وهو مضطجع بيننا ، فأتاه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، إن قاصاً عند أبواب كندة يقص ، ويزعم أن آية الدخان تجيء ، فتأخذ بأنفاس الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام ، فقال عبد الله وجلس وهو غضبان ، يا أيها الناس ، اتقوا الله ، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم ، ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم ، فإن الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : (قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين) [١]

وكان رضي الله عنه يحذر أصحابه من الخوض في التفسير والورع والإقلال منه بقدر المستطاع ، وكان يقول : القرآن كلام الله ، فمن قال فليعلم ما يقول على الله.

فكان أصحابه أقل التابعين على الإطلاق في التفسير ، وكان بعضهم يقتصر على الرواية عن شيخه فقط ولا يتعدى على ذلك تورعاً واحتياطاً لأنفسهم . وكان مسروق يقول : اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله. [٢]

وعن محمد بن سيرين قال : سألت عبيدة السلماني عن شيء من القرآن ؟ فقال : اتق الله وعليك بالسداد ، فقد ذهب الذين يعلمون فيم أنزل القرآن . [٣]

وقال إبراهيم النخعي : كان أصحابنا يتقون التفسير ويهابونه

وكان عامر الشعبي من أكثر من روي عنه الورع في التفسير ، فعنه قال : والله ما من آية إلا سألت عنها ، ولكنها الرواية عن الله . [٤]

قال الشعبي : ما دخل الكوفة أحد من الصحابة أنفع علماً ولا أفقه صاحباً من عبد الله .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب صفات المنافقين .

(٢) تفسير ابن كثير (١٧/١) .

(٣) تفسير الطبري (٦٢/١) ٩٦ .

(٤) تفسير الطبري (٦٣/١) ١٠٢ .

كان مسروق أكثر اصحاب عبد الله بن مسعود نقلاً عنه في التفسير .

وعن مسروق قال : كان عبد الله يقرأ علينا السورة ، ثم يحدِّثنا فيها ويفسرها عامة النهار [1]

وهذا الأثر يدل على أن شغله الدائم هو القرآن تلاوة وتعليماً وتفسيراً فابن مسعود قضى عمره بالاشتغال بالقرآن.

اعتمد في تفسيره على القراءة

اعتنى ابن مسعود بالقراءة في تفسيره ، واعتمد في بيان معاني القرآن على القراءة ، وكان له الأثر البالغ في أصحابه من التابعين الذين تتلمذوا على يده منهم : الأسود بن يزيد ، وعلقمة بن قيس ، وأبو عبد الرحمن السلمي . [2]

كان مجاهد يتحسر أنه لم يتعلم القراءة من ابن مسعود ، ويقول : لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن مما سألت . [3]

وقد نقل التابعون تفسير ابن مسعود وكان جلّ ما نقلوه عنه ما كان له صلة بالقراءات ، لأنه رضي الله عنه اشتغل بالقراءة والإقراء وفاق غيره من الصحابة . حتى استفاد التابعون من قراءته أكثر من غيره . وكان معظم ما رواه التابعون عنه رضى الله عنه في التفسير كان في القراءة

الفقه والإفتاء

كما أنه رضي الله عنه مال إلى الفقه والإفتاء أكثر من ميله للتفسير ، لأن الكوفة كانت تحتاج إلى بيان الحلال والحرام ، وإيضاح الكثير من المسائل الفقهية أكثر من حاجتها إلى التفسير .

---

(١) تفسير الطبري (١/٦٠) .

(٢) معرفة القراء الكبار (١/٤٣) .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه (٥/٢٠٠) .

وكان ابن مسعود من أعلم اصحاب محمد بالحلال والحرام والقرآن والسنة ، ويدل على ذلك أن ناساً أتوا علياً فأثنوا على عبد الله بن مسعود ، فقال : أقول فيه مثل ما قالوا ، وأفضل من قرأ القرآن ، وأحلّ حلاله وحرم حرامه ، فقيه في الدين عالم بالسنة . (١)

يقول الشعبي : ما كان أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أفقه من صاحبنا عبد الله . (٢)

يقول ابن المديني : لم يكن من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد له أصحاب حفظوا عنه ، وقالوا بقوله في الفقه إلا ثلاثة : زيد بن ثابت ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس .

ويقول ابراهيم النخعي : كان أصحاب عبد الله الذين يقرئون الناس القرآن ، ويعلمونهم السنة ، ويصدر الناس عن رأيهم ستة : علقمة ، والأسود ، ومسروق ، وعبيدة ، وأبو ميسرة بن شرحبيل ، والحارث بن قيس .حلية الأولياء (١٧٠/٤) فكانوا يقرئون الناس ويفتونهم .

ويقول سعيد بن جبير : كان أصحاب عبد الله شيوخ هذه الأمة . (٣)

المراجع

١- تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط: الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢- تفسير القرآن العظيم، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، دار المتاب العربي، بيروت-لبنان.

٣- التفسير والمفسرون د. محمد حسين الذهبي ط : بدون.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٥٣٨٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (١٠/٦) .

(٣) المعرفة (٥٥٨/٢) .

٤- الجامع الصحيح سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ط: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٥- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي، ط: الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٦- صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبة، ط: ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٧- صحيح مسلم بشرح الإمام محي الدين النووي المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، حقق أصوله وخرج أحاديثه على الكتب الستة ورقمه حسب المعجم المفهرس وتحفة الأشراف: الشيخ خليل مأمون شيحا، ط: الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار المعرفة بيروت - لبنان.

٨- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري مع تضمينات الإمام الذهبي في التلخيص والميزان والعراقي في أماليه والمناوى في فيض القدير وغيرهم من العلماء الأجلاء، تحقيق ك حمدي الدمرداش محمد، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية - مكة المكرمة.

٩- مسند الإمام أحمد بن حنبل، رقم أحاديثه: محمد عبد السلام عبد الشافي، ط: الأولى ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٠- تهذيب التهذيب للإمام الحافظ أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني،تحقيق: الشيخ خليل مأمون شيحا والشيخ عمر السلامي والشيخ علي بن مسعود، ط:الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار المعرفة، بيروت - لبنان.

١١- الثقـــــات للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، ط: الأولى ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، دائرة المعارف العمانية، حيدر أباد - الهند

١٢- الجرح والتعديل للإمام الحافظ أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس التميمي الحنظلي الرازي، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان.

١٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للإمام الحافظ أبي نُعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني الشافعي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٤- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ومعه الإستيعاب في معرفة الأصحاب للقرطبي المالكي، ط: بدون، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.

١٥- سير أعلام النبلاء للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، ط: الحادية عشرة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

١٦- طبقات المفسرين للإمام الحافظ الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ط: بدون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

١٧- طبقات المفسرين، تأليف: أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الحربي، ط: الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، مكتبة العلوم والحكم، المملكة العربية السعودية- المدينة المنورة.

١٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لجمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغرِى بَردِى الأتابكي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط: بدون، المؤسسة المصرية العامة.

١٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، ط: بدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

٢٠ - أحكام القرآن ، لابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الفكر ، بيروت .

٢١- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٢٢- تفسير ابن مسعود ، جمع د . محمد أحمد عيسوي ، طبع على نفقة مؤسسة الملك فيصل الخيرية ، شركة الطباعة العربية ، الرياض ، ط : الأولى ١٤٠٥ هـ

٢٣- الطبقات الكبرى لابن سعد ، طبعة دار صادر ، بيروت .

٢٤- المعجم الكبير للطبراني ، تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي ، ط : الأولى ١٤٠٠ هـ ، الدار العربي للطباعة ، بيروت .

٢٥- الوجيز في فضائل الكتاب العزيز ، للقرطبي ، تحقيق : د . علاء الدين علي رضا ، دار الحديث ، القاهرة .

٢٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار للذهبي ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، الطبعة الأولى ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .

٢٧- المصاحف لابن أبي داود السجستاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ

٢٨- المصنف لابن أبي شيبة ، طبعة إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، باكستان ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ

٢٩- المعرفة والتاريخ لأبي يوسف الفسوي ، تحقيق : د. أكرم ضياء العمري ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ١٣٩٤هـ

٣٠- سنن الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، توزيع دار الباز للنشر ، مكة المكرمة .

٣١- تفسير التابعين محمد بن الله الخضيري ، دار الوطن للنشر . الرياض ، الطبعة الأولى . ١٤٢٠هـ

٣٢- طبقات القراء للذهبي

٣٣- تهذيب الكمال في اسماء الرجال للمزي . تحقيق : د . بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت.

* * *